



Syarif Hidayatullah
State Islamic University (UIN)
Jakarta
fdi.uinjkt.ac.id



The World Association
for Al-Azhar Graduates (WAAG)
Indonesia Branch
waag-azhar.or.id

ISSN 2460-8041
Conference Proceedings

INTERNATIONAL  **CONFERENCE ON**

Al-Wasat̄iyyah Asās al-Khairiyyah

An Attempt to Design Islamic Thought Landmarks
in the Light of Contemporary Challenges

Prof. Dr. Harun Nasution Auditorium
Syarif Hidayatullah State Islamic University (UIN) Jakarta
Dhul Qa'dah 17-19, 1436 H / September 1-3, 2015 M

أمة وسطا في تفسير المنار وتفسير الفخر الرازي

محمد أمين

كلية أصول الدين بجامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية في جوكرتا

aminoyogya@yahoo.com

الملخص

يقوم هذا البحث بدراسة مفهوم المجتمع المعتدل في القرآن الكريم في كتب التفسير الكلاسيكي والمعاصر، مع تحديد المشاكل على النحو التالي: ما معنى عبارة "أمة وسطاً" الواردة في سورة البقرة ١٤٣ عند رشيد رضا في كتابه تفسير المنار وعند فخر الدين الرازي في كتابه تفسير الفخر الرازي؟؛ و ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير آيات القرآن الكريم المتعلقة بأمة وسطاً؟

مقدمة

آية القرآن الكريم التي كثيراً ما يستشهد بها علماء التفسير لعرض نظر القرآن ورسالته حول المجتمع المعتدل هي سورة البقرة الآية ١٤٣. وإذا لاحظنا آراء العلماء في تفسير المعنى الوارد في سورة البقرة ١٤٣ حول المجتمع المعتدل، سنجد ما يكفي من آراءهم المختلفة، ولا سيما فيما يتعلق بمعنى عبارة "أمة وسطاً" الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣ في قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ** وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ.

ومن بين هذه الآراء، يمكننا النظر إلى رأي المفسر الإندونيسي، قريش شهاب، في تفسير قوله تعالى "أمة وسطاً". وعند ترجمة الآية ١٤٣ من سورة البقرة، يكتب السيد قريش شهاب في كتابه "تفسير المصباح" عبارة (أمة وسطاً) كما هي، ولا يحاول أن يترجم عبارة (أمة وسطاً) إلى اللغة الإندونيسية. وعند شرحه معنى الآية ١٤٣ من سورة البقرة يقول قريش شهاب أن عبارة "أمة وسطاً" في الآية بمعنى مجتمع معتدل ومثالي.^١

^١ قريش شهاب (Quraish Shihab)، تفسير المصباح (Tafsir al-Mishbāh)، مجلد ١، ص. ٣٢٥.

وعلى النقيض من ذلك، ذكر يحيى عبد الرحمن في الموقع الرسمي لحزب التحرير الإندونيسي أن عبارة "أمة وسطا" لا تعني أمة معتدلة. وأشار يحيى عبد الرحمن إلى أن معنى "أمة وسطا" هي أمة عدل و أمة مختارة. و رأى يحيى عبد الرحمن أن موقفا وسطا لا يعني موقفا معتدلا و لا يعني تقديم الحل الوسط.^٢

وعلى منوال يحيى عبد الرحمن، رأى عبد القديم زلوم في كتابه "مفاهيم خطيرة لضرب الإسلام وتركيز الحضارة الغربية" أنه لا وسطية ولا حل وسط في الإسلام و إن الموقف المعتدل أو الوسطية ما هو إلا موقفا واردا من خارج الإسلام، ولا يأتي من الإسلام. والموقف المعتدل، وقال عبد القديم زلوم في كتابه الذي نشره حزب التحرير إن الموقف المعتدل يستمد في الأصل من رأي الغربيين المعتمدين على مبادئ الرأسمالية. ويستنكر مؤلف هذا الكتاب موقف كثير من المسلمين الذين يأخذون مفهوم الوسطية بارتجال من الغرب، كما أنه يندد بعض العلماء الذين يفسرون عبارة أمةً وسطاً الواردة في سورة البقرة (٢) ١٤٣ بأمة متوسطة ومعتدلة.^٣

وهذا الفرق يقع أساسا في تفسير معنى عبارة "أمةً وسطاً" الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣. وكتاب القرآن وترجمته الذي نشرته وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية يعطي تفسيراً لهذه العبارة على أنها "أهل الوسط"، وذلك يتمشى مع رأي محمد قريش شهاب الذي يرى أن عبارة "أمةً وسطاً" بمعنى مجتمع معتدل ومثالي^٤. من ناحية أخرى، يحيى عبد الرحمن وعبد القديم زلوم من حزب التحرير لا يتفقان مع معنى أمة معتدلة في عبارة "أمةً وسطاً" الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣.

وإذا نظرنا إلى واقع المجتمع الإسلامي اليوم، يبدو أن الطابع المعتدل المضمون في سورة البقرة الآية ١٤٣، لم يتحقق بعد بين المسلمين. وإن سلوك الأمة المسلمة لم تعكس وسطية مطلوبة. والسؤال الآن لماذا تحدث فجوة كبيرة بين حالة مثالية كمجتمع معتدل وحالة حقيقية في وسط المجتمع الإسلامي الذي لم يتحلى بصفة معتدلة في عصرنا اليوم؟ كيف نتحرك إلى تحقيق المجتمع المعتدل في المجتمع الإسلامي الإندونيسي؟ وفي معرض هذا، يبدو أن هناك حاجة ماسة إلى البحث عن مفهوم المجتمع المعتدل في القرآن الكريم والبحث عن طريقة لتحقيق مجتمع معتدل في وسط المجتمع الإسلامي الإندونيسي، وخاصة البحث عن طريقة

^٢. Yahya Abdurrahman, "Ummat[an] Wasath[an]", <http://hizbut-tahrir.or.id/2011/05/04/ummattan-wasathan>.

تم الحصول على المعلومة في ١٣ مايو ٢٠١٤.

^٣. عبد القديم زلوم، "مفاهيم كثيرة لضرب الإسلام وتركيز الحضارة الغربية، حزب التحرير. ١٩٩٨. وانظر أيضاً <http://hizbut-tahrir.or.id/2008/08/01/pemikiran-kapitalisme-yang-berbahaya-moderat/>

^٤. قريش شهاب (Quraish Shihab)، تفسير المصباح (Tafsir al-Mishbāh)، مجلد ١، ص. ٣٢٥.

التي تستمد من رسائل الدين التي تتناسب مع ظروف المجتمع الإسلامي الإندونيسي اليوم. ومثل هذا البحث يمكن أن يتحقق عن طريق الدراسة في معنى آيات القرآن التي تتحدث عن مجتمع معتدل في كتب التفسير، سواء كانت كتب التفسير بالرأي المعاصر بالاتجاه الأدبي الاجتماعي مثل كتاب *تفسير المنار* الذي صنفه رشيد رضا، أو كتاب التفسير الكلاسيكي الفلسفي، مثل كتاب *تفسير الفخر الرازي* الذي ألفه فخر الدين الرازي.

وهذه الخلفية دعت الباحث إلى الخوض في دراسة مفهوم المجتمع المعتدل في القرآن الكريم في كتب التفسير الكلاسيكي والمعاصر، مع تحديد المشاكل على النحو التالي: (١) ما معنى عبارة "أمةً وسطاً" الواردة في سورة اليقرة ١٤٣ عند رشيد رضا في كتابه *تفسير المنار* وعند فخر الدين الرازي في كتابه *تفسير الفخر الرازي*؟ (٢) ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير آيات القرآن الكريم المتعلقة بأمة وسط؟

رأي رشيد رضا و فخر الدين الرازي عن أمة وسط

سنعرض فيما يلي آراء رشيد رضا وفخر الدين الرازي في أمة وسط لمعرفة المزيد من موقفهما من عبارة "أمةً وسطاً" الواردة في القرآن الكريم. ونستخرج آراءهما من تفسيرهما في الآيات التي تتحدث عن "أمة وسطاً"، مثلما جاءت في كتابيهما *تفسير المنار* و *تفسير الفخر الرازي*، ويعرف أيضاً تفسير الفخر الرازي باسم مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير.

ويحتوي المنار على تفسير آيات القرآن من أول سورة في القرآن الكريم، أي من سورة الفاتحة إلى السورة الثانية عشرة، أي سورة يوسف الآية ٥٢، وأما ما بعدها من السور، فلم يتم تدوينها في *تفسير المنار*. ولذلك فلم نجد في تفسير المنار تفسيراً تحليلياً من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن موقف أو سلوك معتدل أو وسط، مثل سورة الإسراء (١٧): ٢٩، وسورة الفرقان (٢٥): ٦٧، ونظراً إلى اقتصار كتاب *تفسير المنار* على تفسير الآيات القرآنية التي تبدأ من سورة الفاتحة (١) إلى سورة يوسف (١٢) الآية ٥٢، فلن نتوصل إلى تفسير سورة الإسراء (١٧): ٢٩، وسورة الفرقان (٢٥): ٦٧، أو الآيات الأخرى التي تقع بعد سورة يوسف (١٢) الآية ٥٢ في كتاب *تفسير المنار*.

ولكون كتاب *تفسير المنار* يحتوي فقط على الآيات من سورة الفاتحة إلى سورة يوسف، فإن هذا البحث لا يمكن أن يناقش ويقارن ما ورد في *تفسير المنار* مع *تفسير الفخر الرازي* من تفسير الآيات التي تتحدث عن أمة وسط في القرآن بعد سورة يوسف. فارتكز البحث إلى تفسير الآيات الواردة في *تفسير المنار* و *تفسير الفخر الرازي* من سورة البقرة وسورة آل عمران، وخاصة الآية ١٤٣ من سورة البقرة والآية ١١٠ من سورة آل عمران.

أ. أمةً وسط كأمة معتدلة في سورة البقرة (٢) ١٤٣

عبارة "أمةً وسطاً" هي عبارة واردة في الآية ١٤٣ من سورة البقرة. وبعض المفسرين بما فيهم رشيد رضا وفخر الرازي، يشيرون إلى عدة المعاني من هذه العبارة. ومن بين معانيها البارزة أمة معتدلة. ونعرض فيما يلي تفسير سورة البقرة الآية ١٤٣ عند رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير المنار وتفسير الفخر الرازي، و عن مفهوم كلمة "وسط"، و عن خير أمة كأمة وسط في سورة آل عمران الآية ١١٠.

١. مفهوم كلمة "وسط"

وردت كلمة "وسط" في تفسير المنار على عدة معان. وكلمة "الوسط" تعني العدل والخيار^٥. وعبارة "أمة وسط" تشير إلى أمة عدل ومختارة^٦. وكلمة "وسط" أيضاً تشتمل على معنى الخير، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص منه تفريط وتقصير. وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمية فهو شر ومذموم. فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر.

واسترسل رشيد رضا في حديثه عن وجه اختيار لفظ الوسط في هذه الآية، أن الشاهد على شيء لا بد أن يكون عارفاً به. ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثنائهما من الجانب الآخر. وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر. ورأى إلى أن في لفظ الوسط إشعاراً بالسببية. كما يشير هذا اللفظ إلى أن المسلمين خيار وعدول لأنهم وسط. وليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعليل المفرطين. فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال.

وما أشار إليه رشيد رضا من وجود العلاقة السببية في لفظ "وسط" في الآية ١٤٣ من سورة البقرة يثير الاهتمام ويدعو المسلمين إلى أن يمعنوا النظر فيه. وأكد فيه رشيد رضا أن الأمة الإسلامية لا تصبح تلقائياً أفضل الأمم أو لا ينبغي أن تزعم على أنها أمة مختارة إذا لم تستطع أن تكون معتدلة. هناك علاقة سببية في اختيار لفظ "وسط" في الآية ١٤٣ من سورة البقرة، أي إذا لم تتحل الأمة الإسلامية بموقف وسلوك معتدلين، فمن الصعب أن تظهر كأمة مختارة، كما يصعب أيضاً أن تكون شاهدة أو مثالا نموذجياً لشعوب أخرى.

^٥. ورد في تفسير المنار: الوسط هو العدل والخيار. انظر تفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا، مجلد ٢، ص. ٤. وفي المعجم الوسيط كلمة خيار هي جمع من "خير". انظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ٢٠٠٤: ٢٦٤. أما في قاموس قاموس عربي-إنجليزي، كلمة خيار تعني اختيار (choice) و صفة أو خيرة (best). انظر هانز فير في *Dictionary of Modern Written Arabic*, Beirut, Maktabah Lubnan, 1974. ص. ٢٦٧.

^٦. رشيد رضا. تفسير القرآن الكريم. مجلد ٢، ص. ٤.

وإذا رجعنا إلى تصريح رشيد رضا يتبين لنا أن لفظ الوسط، وإن يبقى على معنى متوسط بين طرفين أو معتدل، إلا أن المقصود بالوسط هنا عدول وخيار. ولذلك يمكننا أن نقول إن أمة وسطا هي أمة عدل وخيار. فإن الوسط يكون سببا لكون المسلمين خير أمة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تصريح رشيد رضا الذي لا بد أن تأخذه بعين الاعتبار هو الاعتدال في شتى المجالات؛ في الأفكار والأخلاق والأعمال.

وللمزيد من بيان الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ذكر رشيد رضا قسمين من الناس قبل ظهور الإسلام؛ قسم تقضي عليه تقاليد المادية المحضة فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين، وقسم تحكم عليه تقاليد الروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند أصحاب الرياضات.

وأما الإسلام فقد جمع الله في هذا الدين بين الحقين حق الروح وحق الجسد. فيأمر الإسلام الأمة الإسلامية المعتدلة أن تتزن بين الروح والجسد. فلاإنسان جسم وروح.

وأضاف رشيد رضا إلى أن كلام الله في سورة البقرة الآية ١٤٣، يؤكد أن الإسلام يأمر أمته لكي تعرف الحقين جيدا؛ حق الروح وحق الجسم. وبالمحافظة على الاتزان بين الحقين وتطوير الإمكانية الموجودة في الروح والجسد، فتبلغ الكمال في الحقين وتكون شاهدة على العاجزين عن الاتزان بين الروح والجسد أي بين الروحانيين إذا أفرطوا وكانوا من الغالين، والجسمانيين بما فرطوا في جنب الدين.

وتكون الأمة الإسلامية أمة شاهدة على هؤلاء وهؤلاء، وتسبق الأمم كلها باعتمادها وتوسطها في الأمور كلها. وهذا الموقف المعتدل، كما سبق ذكره، يجب أن يتحلى به كل مسلم في جميع المجالات وفي جميع الأمور، حتى يعطي كل ذي حق حقه، كيؤدي حقوق ربه وحقوق نفسه، حقوق جسمه وحقوق ذي القربى وحقوق سائر الناس.

وفيما يتعلق بما ذكره رشيد رضا في "أمة وسطا" عندما فسر الآية ١٤٣ من سورة البقرة، بين رشيد رضا بالتفصيل الآية: وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، وشرح بأن هذه الآية تشير إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو المثال الأكمل لمرتبة الوسط. وإنما تكون هذه الأمة وسطا باتباعها له في سيرته وشريعته. فكأنه تعالى قال: إنما يتحقق لهذه الأمة وصف الوسط إذا حافظت على العمل بهدي الرسول واستقامت على سنته. وإذا انحرفت الأمة الإسلامية عن الإسلام وسنة رسوله بل خرجت بالابتداع من الوسط فتكون في أحد الطرفين. وأما إذا انحرفت عن هذه الجادة فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليها بأنها ليست من أمته التي وصفها الله في وسورة آل عمران (٣) الآية ١١٠ في قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ .

وإذا أمعنا النظر في رأي فخر الدين الرازي في معنى لفظ "وسطا"، فوجدنا أوجه التشابه بين رأيه وبين رأي رشيد رضا الذي سبق ذكره. لقد بين فخر الدين الرازي معنى "الوسط" بسرد بعض الأقوال، أحدها : أن الوسط هو العدل والدليل عليه، الآية والخبر والشعر. ومنها قوله تعالى: قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ [٦٨:٢٨] ، أي أعدلهم.

وخلافا عن رأي فخر الدين الرازي الذي يفسر لفظ الأوسط الوارد في الآية ٦٨ من سورة القلم بأعدلهم، فإن القرآن وترجمته الذي نشرته وزارة الشؤون الدينية يفسر لفظ الأوسط بأحكامهم.^٧ أما قريش شهاب فيفسره بالمتوسط.^٨

والوسط بمعنى العدل، وفقا لفخر الدين الرازي، وارد أيضا في الحديث النبوي الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي محمد: "أمة وسطا" قال: عدلا. وقال عليه الصلاة والسلام: "خير الأمور أوسطها" أي أعدلها. ولفظ الأوسط هو اسم التفضيل من كلمة وسط، كما سبق ذكره.

كما أبدى فخر الدين الرازي رأيه في أن الوسط بمعنى العدل، وذلك من وجوه: أحدها : أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان. فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاضلا.

وثانيها : إنما سمي العدل وسطا لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين. والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين. وثالثها : لا شك أن المراد بقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) طريقة المدح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الثناء أو المدح لا يكون إلا لكونهم عدولا، فوجب أن يكون المراد في الوسط العدالة.

ورابعها : أن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال. والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأواسط محمية محوطة. فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة.

^٧ انظر القرآن وترجمته الذي نشرته وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية Lembaga Penyelenggara Penerjemah Al-Qur'an dan Terjemahnya, Riyadh, Darussalam, Kitab Suci al-Qur'an Kementerian Agama RI, *Al-Qur'an dan Terjemahnya*, Riyadh, Darussalam,

^٨ انظر قريش شهاب (Quraish Shihab)، تفسير المصباح (*Tafsir al-Mishbah*)، مجلد ١٤، ص. ٣٨٩.

القول الثاني: أن الوسط من كل شيء، عند فخر الرازي خياره. وهذا التفسير أولى من الأول لوجوه:
الأول: أن لفظ الوسط يستعمل في الجمادات. الثاني: أنه مطابق لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس
(آل عمران : ١١٠) .

القول الثالث: أن الوسط أفضل وتميز. وذلك أن الرجل إذا قال: فلان أوسطنا نسبا فالمعنى أنه أكثر
فضلا. القول الرابع: يجوز أن يكونوا وسطا على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفترط والغالي
والمقصر في الأشياء، لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى. فجعلوا ابنا وإلهما، ولا قصرُوا كتنقيص اليهود في قتل
الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصرُوا فيه.

وأشار فخر الدين الرازي إلى أن هذه الأقوال الأربعة متقاربة غير متنافية.

وكل من رشيد رضا وفخر الدين الرازي عند تفسير سورة البقرة الآية ١٤٣، لم يعط بيانا لمعنى كلمة
"الأمة: الواردة في تلك الآية. فذكر فخر الدين الرازي معنى كلمة "الأمة" عندما يفسر سورة آل عمران (٣)
الآية ١١٠، ناقلا عن رأي القفال، أصل الأمة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد.^٩

و"الأمة" مشتقة من الكلمة التي تتكون من حرف الهمزة والميم المضعفة. ومن جذر هذه الكلمة تأتي
كلمة الأم والإمام. واشتقاقيا، تحتوي هذه الكلمة على عدة معان، ومنها: (١) الجماعة من الناس، (٢) كل
جيل ينسب إلى النبي، مثل أمة موسى، وأمة النبي محمد، وإلى غير ذلك، و(٣) كل جيل من الناس يقال له أمة
واحدة.^{١٠}

وبالتالي، فإنه يمكن أن تأتي الأمة بمعناها العام أو الخاص. فالأمة في معناها العام هو كل جيل من الناس
يعد أمة واحدة. وأما معناها الخاص فهم الذين يتبعون ديننا معينا، مثل أمة النبي محمد أو الأمة الإسلامية وهلم
جرا.

ب. خير أمة كأمةً وسط في سورة آل عمران الآية ١١٠

عبارة "أمة وسطاً" الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣ غالبا ما يستشهد بها المفسرون للدلالة على خير
أمة، بجانب أمة معتدلة. ومفهوم "أمة وسطاً" كأفضل الأمم والأمة المعتدلة قد أشار إليه عدد من المفسرين،
من بينهم رشيد رضا وفخر الدين الرازي في كتابيهما. وفيما يلي وصف لتفسير سورة آل عمران الآية ١١٠

^٩ . فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي. مجلد ٨، ص. ١٩٥

^{١٠} . انظر Ali Nurdin, *Quranic Society* ص ٧٣.

الذي قدمه كل من رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير المنار وتفسير الفخر الرازي، والذي يحتوي على معنى عبارة "كنتم" الواردة في سورة آل عمران الآية ١١٠، والخطاب فيها، والعامل الرئيسي لتحقيق خير أمة وعن أسباب تقديم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر.

أ. الخطاب في سورة آل عمران الآية ١١٠

من المخاطبون في سورة آل عمران الآية ١١٠؟ الخطاب في هذه الآية يمكن أن نفهمها من لفظ "كنتم". من هم الذين يتدرجون تحت لفظ "كنتم" الوارد في قوله تعالى "كنتم خير أمة؟". قال رشيد رضا إن هذا اللفظ يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصادقين الذين كانوا معه. وبالتالي، فإن الخطاب كان في الأصل موجهاً إلى النبي ومن كان معه من أتباعه.

وإذا فسرت كلمة "كنتم" كما هو مذكور، فكانت الجملة شهادة من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن اتبعه من المؤمنين الصادقين إلى زمن نزولها بأنها خير أمة أخرجت للناس بتلك المزايا الثلاث؛ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى إيماناً صحيحاً يظهر أثره في أعمالهم اليومية.

وأما الذين يدعون بالإسلام ويجعلون الدين جنسية لهم فقط، فلا يستحقون هذه الخيرية، بل لا يستحقها من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت الحرام والتزم الحلال واجتنب الحرام مع الإخلاص. فهذه الخيرية لا تستحقها أمة من الأمم إلا بعد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالاعتصام بحبل الله مع اتقاء التفرق والخلاف في الدين.

وأضاف رشيد رضا إلى أن هذا الوصف يصدق على الذين خوطبوا به أولاً، وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين كانوا معه. فهم الذين كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم، فكانوا بنعمته إخواناً. وهم الذين اعتصموا بحبل الله ولم يفرقوا في الدين، فيذهبوا فيه مذاهب تتعصب لكل مذهب شيعة منهم. وهم الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهم المؤمنون بالله إيماناً قوياً استولى على عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم، وظهرت فوائده وآثاره في تغيير هيئة الأرض على أيديهم.

تماشياً مع ما ذهب إليه رشيد رضا، رأى فخر الدين الرازي إلى أن ظاهر الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه. بل أشار إلى أن الخطاب عام لكل أمة من الأمم من أهل دعوته. وعلى الرغم من أن ذلك خطاب مع الحاضرين - رسول الله وأصحابه - بحسب اللفظ، ولكنه عام في كل الأمة، ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٣: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

[٢:١٨٣]

ب. العامل الرئيسي لتحقيق خير أمة

رأى رشيد رضا أن خيرية الأمة وفضلها على غيرها من الأمم تكون بهذه الأمور: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى. وأشار الله تعالى في هذه الآية إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه من المؤمنين الصادقين إلى زمن نزولها خير أمة أخرجت للناس بتلك المزايا الثلاث.

وأكد رشيد رضا أن وصف الأمة بالأمر والنهي والإيمان علة لكونها خير أمة أخرجت للناس، بل رأى إلى أن ما كانت به خير أمة لا يحفظ ولا يدوم إلا بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله إيمانا قويا استولى على عقولها وقلوبها ومشاعرها.

ولذلك اشترط على هذه الأمة أن يكون من غرضها في الدفاع عن نفسها وحفظ وجودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأنها لولا ذلك لا تكون مستحقة للبقاء في الأرض.

وأما الذين يدعون بالإسلام ويجعلون الدين جنسية لهم فقط، فلا يستحقون هذه الخيرية، بل لا يستحقها من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت الحرام والتزم الحلال واجتنب الحرام مع الإخلاص. فهذه الخيرية لا تستحقها أمة من الأمم إلا بعد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالاعتصام بحبل الله مع اتقاء التفرق والخلاف في الدين.

واتفق فخر الرازي مع ما ذهب إليه رشيد رضا على كون وصف الأمة بالأمر والنهي والإيمان علة لكونها خير أمة. وقال إن هذا كلام مستأنف، والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية. وتأييدا لحجته، قدم فخر الرازي مثلا من الجملة العربية التي تقول: "زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم"^{١١}. الجمل الأخيرة من الجملة السابقة بيان لكون زيد كريما.

وبالتالي، رأى فخر الرازي إلى وجود العلاقة السببية بين الخيرية وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. وهذه الخيرية لا بد أن تكون بهذه الأمور الثلاثة. بينما أكد رشيد رضا بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله لتحقيق خير أمة، فلم يؤكد فخر الرازي بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

^{١١} فخر الرازي. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١. مجلد ٨، ص.

على الرغم من أن رشيد رضا وفخر الدين الرازي اتفقا على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق أفضل الأمة، إلا أن لهما أوجه الاختلاف في تفسير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال فخر الرازي ناقلا عن القفال: تفضيلهم على الأمم الذين كانوا قبلهم إنما حصل لأجل أنهم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر بأكد الوجوه وهو القتال لأن الأمر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد ، وأقواها ما يكون بالقتال^{١٢}.

وقد فند رشيد رضا بيان فخر الدين الرازي، ورأى إلى أن الإكراه على الدين منفي من الإسلام بنص القرآن، ولم يحارب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا من العرب ولا من غيرهم، لأجل الإكراه على الإسلام، وإنما حارب دفاعا. وأضاف إلى أن هذا القول يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبارة عن الدعوة إلى الإسلام والإلزام به. والآية ١١٠ من سورة آل عمران، تقتضي أن يكون الأمر والنهي غير تلك الدعوة وغير الإلزام بقبوله بها وهو عمل لا إرشاد وتعليم. كما أن فريضة الأمر والنهي غير فريضة تغيير المنكر الذي ورد في الحديث.

ج. الوصول إلى أمة وسط

قد عرضنا مما سبق، آراء رشيد رضا وفخر الدين الرازي في أمة وسط، آملين أن تظهر الجهود التي يمكن أن يضطلع بها المسلمون ليكونوا أمة وسطا في الحاضر والمستقبل.

وهذه الجهود ترتبط ارتباطا وثيقا بجهود رامية إلى تحقيق موقف ايجابي في خضم المجتمع المسلم. وفي قاموس علم الاجتماع، الموقف هو استجابة الشخص للمثيرات الاجتماعية. وعموما، موقف الشخص تجاه كائن يمكن أن يتجلى في اتجاهين: مؤيد أو معارض، حب أو كراهة، وداعم أو رافض^{١٣}. وفي واقع الحياة إن المجتمع الإسلامي اليوم، كثيرا ما يظهر عدد من الجماعات داخل المجتمع المسلم مواقف شرسة، مما يوجه البعض الاتهام للأمة الإسلامية بكونها أمة غير معتدلة.

^{١٢}. فخر الرازي. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١. مجلد ٨، ص.

وهناك عوامل كثيرة تدعو إلى موقف غير معتدل في وسط المسلمين اليوم. وواحدة منها الفهم القاصر للدين. وبالنظر إلى الارتباط الوثيق بين الفهم الديني لشخص أو لمجموعة ما مع موقفه وسلوكه، فنجدد بالإشارة إلى الفهم الديني، وإن كان في لمحة قصيرة.

وكلمة "الفهم" مشتقة من فهم. وفي المعجم الكبير للغة الإندونيسية (*Kamus Besar Bahasa Indonesia*)، كلمة "فهم" لها عدة معان، منها: (١) إدراك، (٢) إبداء الرأي أو الفكر، (٣) اتجاه، وجهة النظر (٤) يفهم بشكل صحيح، يعرف جيدا (عن)، و(٥) ذكي ويدرك بشكل صحيح.^{١٤} فالفهم هو عملية التعلم والتفكير، لأن نشاط التعلم والتفكير نشاط ضروري للتوصل إلى الفهم. والفهم هو قدرة بمستوى أعلى من مستوى القدرة على حفظ أو تذكر. والفهم أيضا أعلى من مجرد القدرة على معرفة. فيستطيع الإنسان به، أن يفسر شيئا ما يعتقد به وأيضا يفهم معنى. والمعرفة بغير الفهم، لا تؤدي بالشخص إلى فهم ما يتم تعلمه من معان، ولا تعمق فيه.^{١٥}

والفهم للدين يقتضى إلى قدرة الشخص على فهم المعنى الوارد في تعاليم دينه، جنبا إلى جنب مع قدرته على شرح محتويات الدين، وتمييز بين الأعمال الحسنة والسيئة الواردة في الدين. وفهم الشخص أو المجموعة للدين ديناميكي وليس ثابتا. وهذه الديناميكية تتناغم مع ديناميات حياة ذلك الشخص.

وبالإضافة إلى ذلك، إن فهم المرء للدين يتأثر بباراديم تم استخدامه في فهم الدين. وفي دراسة الدين نجد على الأقل ثلاث باراديمات دينية؛ حصرية، وشمولية وتعددية.

فباراديم الدين الحصري يؤدي إلى موقف أقل اعتدالا. أما باراديم الدين الشمولي والتعددي فيأتي باعتدال في وسط المسلمين. وأشار البحث الذي أجراه مركز البحوث والتطوير للحياة الدينية، وكالة البحوث والتنمية والدورة التدريبية التابعة لوزارة الشؤون الدينية إلى أنه كلما يتحسن فهم الإنسان للدين، فينخفض حصره في التدين. والعكس، كلما ينخفض فهم الإنسان للدين، فيتزايد حصره في التدين.^{١٦}

^{١٤}. انظر المعجم الكبير للغة الإندونيسية (*Kamus Besar Bahasa Indonesia*) ص 714.

^{١٥}. انظر Abdul Aziz (Ed.), *Pandangan Pemuka Agama tentang Eksklusifitas Beragama di Indonesia* (Jakarta: Badan Litbang dan Diklat Kementerian Agama RI, 2013)، ص 11-12.

^{١٦}. انظر

وبناء على ما سبق، إن سببا من الأسباب التي أدت إلى ظهور موقف غير معتدل ما هو إلا فهم قاصر للدين. وفهم الإنسان لدينه غالبا ما يستمد من النصوص الدينية ويعتمد على ما له من باراداييم الدين. فالفهم القاصر للدين قد يولد موقفا متطرفا أو غير معتدل. فالعمل من أجل تحقيق "أمةً وسط" أصبح أمرا ملحا لتعزيز الفهم الصحيح للإسلام والداعي إلى الاعتدال في المجتمع المسلم. لذلك، يجب على كل مسلم إيصال المعنى والرسالة الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣ وسورة آل عمران الآية ١١٠ بشأن معنى أمةً وسط وخير أمة.

بالإضافة إلى الجهود المبذولة لزيادة الفهم في تعاليم الإسلام، فإن الاعتدال يجب تطبيقه والتعود عليه بين المسلمين من أجل إنشاء الاعتدال في المجتمع الإسلامي. التعود هو أحد السبل المناسبة في غرس القيم الجيدة لشخص.

و في المعجم الكبير للغة الإنونيسية كلمة kebiasaan "عادة" تعني: (1) عمل معتاد، (٢) سلوك الاستجابة لحالة معينة يدرسها الفرد ويفعلها مرارا لأجل شيء واحد.^{١٧} فالتعود لغة، عمل متكرر للفرد. والعنصر الرئيسي في التعود هو تكرار. والشخصية الرشيدة يتم تشكيلها عن طريق أداء الأعمال الجيدة بشكل متكرر. ومن هنا يمكن للشخص تعويد نفسه أن يفعل شيئا أفضل.^{١٨}

ونجد في القرآن عدة الآيات التي تدعو المسلمين للتعرف على حياة معتدلة والاعتدال في الإنفاق ولكن لا يكون بخيلا. وهذا التوجيه على سبيل المثال وارد في سورة الفرقان: الآية ٦٧ في قوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَمَا يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [٢٥:٦٧]. وكذلك في سورة الإسراء الآية ٢٩، يقول الله عز وجل: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا [١٧:٢٩]

والآيات السابقة تأمر المسلمين لكي يتصرفوا باعتدال. لذلك يجب على المسلمين أن يطبقوا الاعتدال ويتعودوا عليه من أجل إنشاء الاعتدال في المجتمع الإسلامي. كما أشار إليه رشيد رضا في تفسير المنار، إذا

^{١٧}. انظر Tim Penyusun Kamus Pusat Pembinaan dan Pengembangan Bahasa, *Kamus Besar Bahasa Indonesia* (Jakarta: Balai Pustaka, 1995), ص 129.

^{١٨}. انظر

Dadang Gani, "Pembiasaan Dalam Pola Penanaman Nilai", http://dadanggani.blogspot.com/2013/05/pembiasaan-dalam-pola-penanaman-nilai_5142.html تم الحصول على المعلومة في ٢٥ نوفمبر

لم تتحل الأمة الإسلامية بموقف وسلوك معتدلين، فمن الصعب أن تظهر كخير أمة. هناك علاقة سببية واردة في اختيار لفظ "وسط" في الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

ختام البحث

بعد أن سردنا حديثاً عن أمةً وسط، توصلنا إلى ما يلي:

١. معنى "وسط" عند رشيد رضا وفخر الدين الرازي هو اعتدال أو وسط بين طرفي الأمر. أمة وسط تعنى خير أمة. وهذا راجع إلى معنى كلمة "وسطا" الواردة في سورة البقرة الآية ١٤٣. فلا يوجد فرق جوهري بين رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى "أمةً وسطاً".

٢. على الرغم من أن هناك تشابه مشترك بين رشيد رضا وفخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى "أمة وسطا" كأمة معتدلة وأفضلها، إلا أن هناك ملاحظة مهمة أشار إليها رشيد رضا. ورأى رشيد رضا أن الوسط يكون سبباً لكون المسلمين خير أمة. ولذلك الوصف بخير أمة ما هو إلا نتيجة إيجابية من التوسط. ورأى رشيد رضا عن وجود العلاقة السببية في لفظ الوسط في الآية ١٤٣ من سورة البقرة رأي ممتاز وينبغي لجميع المسلمين أن يمعنوا النظر فيه. ويؤكد فيه رشيد رضا أن الأمة الإسلامية لا تصبح تلقائياً أفضل الأمم أو لا ينبغي أن تزعم على أنها أمة مختارة إذا لم تستطع أن تكون معتدلة. هناك علاقة سببية واردة في اختيار لفظ "وسط" في الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

٣. هناك أوجه التشابه بين رشيد رضا وفخر الدين الرازي عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق خير أمة كما جاء في سورة آل عمران الآية ١١٠. غير أن لهما أوجه الاختلاف في تفسير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال فخر الدين الرازي إن تفضيلهم على الأمم الذين كانوا قبلهم، إنما حصل لأجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأكد الوجوه وهو القتال لأن الأمر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد، وأقواها ما يكون بالقتال. وهذا يتناقض مع رشيد رضا الذي ينفي الإكراه على الدين. وهذا القول، في نظر رشيد رضا، يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبارة عن الدعوة إلى الإسلام والإلزام به. والآية ١١٠ من سورة آل عمران، تقتضي أن يكون الأمر والنهي غير تلك الدعوة وغير الإلزام بقبوله بما وهو عمل لا إرشاد وتعليم.

و في ختام البحث من المستحسن أن تقدّم بعض التوصيات كما يلي:

١. نظرا لأهمية الجهود المبذولة لتحقيق أمة وسط أو مجتمع معتدل، نقترح وجود أبحاث متتابعة تكون أشمل حول مجتمع معتدل أو أمة وسط في منظور القرآن مع الرجوع إلى آراء علماء التفسير في العصر الكلاسيكي والعصر المعاصر.

٢. نظرا لوجود العلاقة الوثيقة بين الاعتدال وفهم الدين، فنحن في حاجة إلى المزيد من الجهود المكثفة لتنمية فهم الأمة الإسلامية للتعاليم الدينية في إطار الجهود الرامية إلى تحقيق الأمة الوسط أو المجتمع المعتدل. كما نحتاج إلى تطبيق السلوك المعتدل والتعود عليه في المجتمع في محاولة لتنمية صفات الاعتدال في المجتمع الإسلامي، كما أشارت إليه بعض آيات القرآن الكريم عن أهمية السلوك المعتدل في الحياة اليومية.

المراجع

- رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، القاهرة، دار المنار، ١٩٤٧
- عبد العزيز، رأي رجال الدين عن التفرد الديني بإندونيسيا (*Pandangan Pemuka Agama tentang Eksklusifitas Beragama di Indonesia*)، جاكرتا، مجمع البحوث العلمية والدورات التدريبية لوزارة الشؤون الدينية، ٢٠١٣
- علي نوردين، المجتمع القرآني (*Quranic Society*)، جاكرتا، إير لنگا (Erlangga)، ٢٠٠٢
- فخر الرازي. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ٢٠٠٤
- محمد قریش شهاب، تفسير المصباح (*Tafsir al-Mishbāh*)، جاكرتا، لنترا هاتي، ٢٠٠٠
- هانز فير، قاموس العربية المكتوبة المعاصرة (*Dictionary of Modern Written Arabic*)، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٤.